

المتغيرات الضميرية والصفات التفاضلية للشخصيات المدن من خلال مقارنة فيليب
هامون في شعر أحمد الطيب معاش.

The Conscientious Variables and Distinct qualities of Cities Characters
through Felip Hamon's comparison in the poetry of Ahmed EL-Tayeb Maach

طارق ثابت¹

جامعة باتنة 01-الجزائر

thabettarek@hotmail.com

تاريخ النشر: 2019/06/29

تاريخ القبول: 2019/06/11

تاريخ الارسال: 2017/07/27

الملخص

سوف نتناول في هذا البحث دال شخصية المدينة عند الشاعر الجزائري أحمد الطيب معاش، الذي احتوى شعره على مدن متنوعة؛ ذات سمات وعلامات منحنتها تفردها، وخصوصيتها؛ وكل ما قاله الشاعر في مدينة ما عددناها شخصية قائمة بذاتها، ودراسة المدينة كشخصية وفق نظرية هامون التي تطبق أساسا على النصوص السردية أمر جديد لم نعتز على أي دراسة مماثلة طبقت هذه النظرية على الشعر في حدود علمنا، وما سنفعله في هذا البحث هو البحث عن الدال؛ الذي هو الشخصية الظاهرة بأفعالها وأقوالها، المشكّل من المتغيرات الضميرية والصفات التفاضلية لكل شخصية مدينة، عن طريق بعض الإجراءات التقنية التي اقترحها فيليب هامون، في كتابه الشهير: (سيمولوجية الشخصيات الروائية).

كلمات مفتاحية: الشخصية، علامة لغوية، الدلالة احمد الطيب معاش، المدينة.

Abstract :

In this research we ll talk about the character of the city in the poems of the Algerian poet (Ahmed Al-Tayeb maach). His poems included various cities with features and signs which had given them the sence of uniqueness and privacy. All what the poet said about a city was considred

¹ - المؤلف المراسل: طارق ثابت، جامعة باتنة 01-الجزائر، thabettarek@hotmail.com

as a figure that stands-alone. the study of the city as a figure according to Hamon theory that mainly applies on narrative texts is something new and there is no similar study where this theory applied on the poetry within the limits of our knowledge. What we will do in this research is to search for the signifier; which is a personal phenomenon with its own actions and words. The signifier consists of variables of conscience and distinct qualities of each character of a city, through some technical procedures proposed by Philippe Hamon, in his famous book: (Semiotics of novel figures), which is one of the the most important formal regulatory classifications of personality

.**Keywords:** personality, language signs, significance Ahmed Tayeb maach, city

1-مقدمة منهجية:

إن الشخصية وحدة دلالية ذات دالّ ومدلول، كأى علامة لغوية يبدأ الكاتب فيها بطرح الشخصيات بيضاء من حيث الدلالة، ولكنها شيئاً فشيئاً تمتلئ بالنعوت، والمعلومات، والأسماء، والتصنيفات، مما يجعلها ذات مدلول محدّد تابع لاختيار الكاتب وأهدافه، والدال والمدلول "مفهومان أساسيان في اللسانيات الحديثة محور وجودها، وهي مفاهيم لسانية محضّة ظهرت مع اللساني فردينالد ديسوسير"¹ فإذا لاحقنا هذا الدال (البياض الدلالي)؛ وهو يمتلئ بالمعلومات، ويُحدّد بالأسماء والصفات، سيصبح له مدلوله الخاص، أن الشخصية ليست جاهزة مسبقاً، أي أنها لا تكون دليلاً، إلا حينما يتوضح بناؤها في النص فتصبح دالا، وهذا ما عناه رولان بارت بقوله "عندما تتكرر وحدات دلالية واحدة في مرات عديدة لاسم واحد وتبدو ثابتة، وهذا ما يولد الشخصية وهي بذلك نتاج عمل تأليفي"،² تُقدم الشخصية حسب فيليب هامون من خلال دال متقطع؛ أي مجموعة متناثرة من الإشارات،³ وهي تكون دالا عندما تتخذ لنفسها عدة أسماء، أو صفات؛ تكون دليلاً عليها فتُشخصها وتلخّص هويتها، ونحن نعلم أن الاسم هو السمة المميزة للشخصية وأن الأديب لا يُسمي ولا يطلق أسماء هكذا اعتباطاً، وعبثاً،

¹ كريمة بلخامسة، تحليل الخطاب الروائي في رواية نجمة لكاتب ياسين، رسالة ماجستير، إشراف الطاهر توات، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة تيزي وزو، 1999-2000، ص146.

² Roland Barth, s/z, seuil, coll points, paris, 1ere publication, 1970; p 74.

³ فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ترجمة سعيد بن كراد، ط01، دار الكلام، الرباط، ص48

المتغيرات الضميرية والصفات التفاضلية للشخصيات المدن من خلال مقارنة فيليب هامون في شعر أحمد

الطيب معاش.

بل يعتمد إلى أسماء معينة تكون دليلاً حقيقياً عليها؛ فالاسم عنصر هام في انسجام النص، وكما يقول هامون، فهو يشكل "ضمان الديمومة، والحفاظ على الخبر، وعلى مدى تنوع القراءات، فنص تتغير فيه إشارات الشخصيات مع كل جملة، لا يمكن أن يشكل نصاً مقروءاً"¹. وستناول في تحليلنا لدال شخصية المدينة؛ التفاضلات الضميرية والأوصاف التفاضلية التي تميز كل شخصية مدينة. فالدال يتحدد من خلال اسم العلم ومن خلال مجموع التحديدات الأخرى²؛ وباختصار فالدال هو الشخصية الظاهرة بأفعالها وأقوالها، وإن استخراجها هو نوع من الكشف عن البنية التحتية لهذه الشخصيات وإظهار رمزياتها.

في تحليلنا سوف نقتصر على مجموعة القصائد في ديوان الشاعر أحمد الطيب معاش³ (التراويح وأغاني الخيام) التي يميزها مفهوم المدينة والفرق بينها وبين القرية، وتلك التي يعطي الشاعر

¹ فليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ص 49.

² فليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ص 47.

³ هو أحمد بن الطيب معاشي، الشهير بأحمد الطيب معاش، ولد في العشرين من شهر أكتوبر سنة ست وعشرين وتسعمائة وألف (1926-10-20) بمدينة سريانة في ولاية باتنة بقلب جبال الأوراس، التحق بالثورة في أوائل عام 1955، عين ممثلاً دائماً لجبهة التحرير في دمشق، التي بقي فيها إلى غاية النصر واسترجاع الاستقلال في سنة 1962. وأسندت إلى الشاعر تولي مهمة سفير للدولة الجزائرية المستقلة في ليبيا، إلى غاية سنة 1971 أين ترك العمل الدبلوماسي ليتحول إلى المعارضة، وعاش بين تونس وسويسرا، وألمانيا، ولندن وغيرها من عواصم العالم، توفي بالجزائر العاصمة في الثاني عشر من شهر فيفري سنة ألفين وخمسة (2005-02-12). تعددت مؤلفات الشاعر أحمد الطيب معاش بتعدد المجالات التي كان يكتب فيها، ومن أهم مؤلفاته الشعرية والنثرية ما يلي:

أ. كلمات متقاطعة للتسلية، وهي عبارة عن قصص، وخواطر-حول الثورة والقضايا الوطنية، والقومية، وطبع في سنة 1984.

ب- مع الشهداء، وهو أول ديوان شعري طبع للشاعر وأغلب قصائده يتضمنها ديوانه الأساسي الثاني "التراويح وأغاني الخيام"، وموضوعات هذه القصائد تدور حول الثورة، وإحياء ذكريات الجهاد، وثناء الشهداء في الجزائر، والوطن العربي، والعالم الإسلامي، طبع سنة 1985م.

ج- صباح الخير؛ كتاب طبع في جزأين؛ طُبع الجزء الأول سنة 1986، وهو عبارة عن مقالات، وأحاديث كتب معظمها في فترة السبعينات، والثمانينات، وتدور موضوعاتها حول قضايا اجتماعية وثقافية وسياسية.

د- شموع لا تتريد الانطفاء، طبع سنة 1987، و يظم بين دفتيه قصصاً عن الثورة وذكريات تتعلق بحياة الشاعر وعائلته، بالإضافة إلى قضايا الوطن، والأمة العربية والإسلامية.

عنوانا لها شخصية المدينة التي يريد التحدث عنها، ولقد أحصينا مجموع النصوص التي من هذا النوع؛ فوجدناها إحدى عشرة قصيدة، يتحدث الشاعر فيها عن عشر مدن جزائرية وعربية وغربية؛ هي: (باتنة، عنابة، بسكرة، قسنطينة، الأصنام أو الشلف حاليا، القدس، حيفا، دمشق، جنيف، ليمان)، مع ملاحظة أن الشاعر أفرد لكل مدينة قصيدة واحدة، ماعدا مدينة قسنطينة؛ فقد خصص لها الشاعر قصيدتين اثنتين.

2- المتغيرات الضميرية:

إن المتغيرات الضميرية ترتبط بوظيفة كل شخصية ف"الضمائر تقدم أشكالاً مختلفة تتوزع داخل الجملة بشكل مختلف، وهذا الاختلاف التوزيعي يفسر بمثابة اختلاف وظائفها"¹ وهذه المتغيرات الضميرية التي سنقوم بالكشف عنها تخضع لمنطق تغير السرد، والوصف، وهي ترتبط بالوظيفة السردية؛ وهي "وظيفة تنسيقية تقوم بتقديم الشخصيات"² وقد تميّز تقديم شخصية المدينة في شعر أحمد الطيب معاش باستعمال ضميرين اثنين:

أولهما الضمير أنت: وقد ورد على لسان الشخصيات المدن، إما على شكل تساؤلات، أو أوامر موجهة، أو وصف المدينة ذاتها بأسلوب مباشر، والسمة البارزة في هذا كله تكمن في التأكيد على اسم الذات أولاً، ثم تجاوز الاسم إلى الضمير المتصل، أو اعتماد التكرار؛ سواء في الاسم، أو الضمير، ومن ذلك قول الشاعر:

-حيفا براك الحيف والإجحاف

هـ- صور من الواقع العربي في عهد النكبة طبع سنة 1990، وهو مجموعة من المقالات نُشرت في مختلف الصحف العربية في السبعينات والثمانينات، وتمثل عمقا آخر لقضايا الوطن والأمة العربية.

و- ديوان "دواوين الزمن الحزين"، طبع سنة 2005 قبيل وفاة الشاعر بأيام فقط.

¹ نبيلة زويش، تحليل الخطاب السردية في ضوء المنهج السيميائي، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2003، ص 173.

² نبيلة زويش، تحليل الخطاب السردية في ضوء المنهج السيميائي، ص ن.

المتغيرات الضميرية والصفات التفاضلية للشخصيات المدن من خلال مقارنة فيليب هامون في شعر أحمد

الطيب معاش.

أين الجزاء الحق والإنصاف؟

حمل السلام إليك وهو مكفن

والقبر عمق غوره الجراف¹

-لماذا جنيت على العندليب

وأسكتت لحن الهزاز الحبيب؟

وكنت برغم صنوف التجني

منى كل صب شديد اللغوب²

-أباتنتي فديتك من عرين

به أسد أعدت للنضال

فديتك يا مليحة من فتاة

بها أوراس تفخر في الجبال³

-يا ابنة المجد والجمال البديع

أنت دوما في بهجة وربيع

أنا أهواك يا حبيبة قلبي

¹ أحمد الطيب معاش، ديوان التراويح وأغاني الخيام، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 197.

² أحمد الطيب معاش، ديوان التراويح وأغاني الخيام، ص 277.

³ م ن، ص 340.

أنا أبغيك فلتكوني شفيعي¹

-يا درة غمرت فؤادي بالهوى

صدق الذي سماك عاصمة الهوا

هل أنت طود في السماء معلق

أم أنت نجم في الفضاء وما هوى²

-جمعت الحور حولك والجمالا

ففقت الحور فوقك والجبالا³

-صبرا أبنت (الشلف) رغم فجيعة

فجعت لها الأخوال والأعمام ..

أنت التي حطمت أصنام العدى

ودعيت بالأصنام وهو كلام⁴

¹ م ن، ص 341.

² م ن، ص 345.

³ م ن، ص 359.

⁴ م ن، ص 461.

المتغيرات الضميرية والصفات التفاضلية للشخصيات المدن من خلال مقارنة فيليب هامون في شعر أحمد

الطيب معاش.

نلاحظ أن الشاعر إما قد استعمل اسم الشخصية (المدينة) في الملفوظات الأولى ليعود ويُضمّره في بقية النص، وإما أضمر الاسم الشخصي واستعمل دلالة عنه الضمير (أنتِ)، وإما استعمل أوصافاً تنبئ وتدل على الشخصية، وعلى الضمير العائد إليها.

ثانياً الضمير هي: ويعد من الضمائر المهيمنة نصياً، عن طريق العدد الكبير من الأفعال المسند إليها، والشخصية الموضوع، ومن ذلك قول الشاعر:

-صرخات من فتاة تنتحب

نظرة منكم إليها يا عرب

لطمت خدا وأدمت مقلة

وأسالت عبرات تلتهب¹

-فهي للحر ملاذ

ومرام للمريد

وهي في السلم

جنان وبساتين وروود²

-بلدة قد ملكت

من غرامي أكثره

جوها عطر وطيب

¹ أحمد الطيب معاش، ديوان التراويح وأغاني الخيام، ص 188.

² م ن، ص 338.

وجبهها ما أنضره¹.

-شلالها من كل ثغر دافق
والدهر يشرب ملء فيه وما ارتوى
وادي الرمال يغوص في أقدامها
والسحب تلثم هامها عبر الجوا²

-وفي مربع الأنس فيها أنست
ومن منبع العلم فيها شربت
وفي وجهها قد قرأت كلاما
كثيرا يؤكد لي ما ظننت³
-يسير بها سفين ذو شرع
ويعبره يمينا أو شمالا
فكم ضمت معايرها ضياء

¹ م ن، ص 343.

² م ن، ص 345.

³ م ن، ص 347.

المتغيرات الضميرية والصفات التفاضلية للشخصيات المدن من خلال مقارنة فيليب هامون في شعر أحمد

الطيب معاش.

يذرن المولعين بها ثمالى¹

-بالأمس كانت في الوجود مدينة

مثل العروس واسمها الأصنام

واليوم أضحت بلقعا، أطلالها

يبكي عليها الصخر والأيتام²

إن استعمال الشاعر لضمير الغائب (هي)؛ يكاد يكون مهيمنا نصيا في الكثير من النصوص؛ وذلك حين يستعمل وصف المدينة، أو إعطاء أبعاد دلالية لها أو حين ينتقل من اسم الذات، أو اسم الضمير (أنت).

من ناحية أخرى نلاحظ أن الشاعر إما أنه يستعمل الضمير (أنت) أو يذكر اسم المدينة مباشرة في التحدث عنها؛ ونجد ذلك في نصوص (عنابة، قسنطينة، باتنة حيفا جنيف ليمان)، وإما أنه يستعمل الضمير (هي)، ونجد ذلك في نصوص (الأصنام القدس، دمشق، بسكرة)، وفي كل هذه النصوص قد ينطلق الشاعر أحيانا من الضمير (أنت) أو ذكر اسم الشخصية ليصل إلى الضمير (هي) ليعود إلى الضمير (أنت)، أو يبدأ بالضمير (هي) ليصل إلى الضمير (أنت) ومن ثم يعود إلى الضمير (هي)، وهذا ما يؤدي إلى مقروئية النص واكتشاف دلالة شخصياته و" يضمن مداومته والحفاظ على البلاغ أثناء القراءات المتنوعة"³.

3-الأوصاف التفاضلية:

نعني بها ذلك التفاضل بقيمة الشخصية ووظيفتها في المتن الشعري، ويتفاوت هذا التفاضل من شخصية مدينة إلى أخرى تبعا لأهميتها وتعلق الشاعر بها، وعن هذا يقول فيليب هامون أن

¹ م ن، ص 359.

² م ن، ص 461.

³ فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ص 60 .

"الشخصية دعامة عدد من النعوت التي تمتلكها بقية الشخصيات الأخرى أو تمتلكها بدرجة أقل"،¹ ولما كانت دراستنا تتناول كل شخصية مدينة على حدة في نص شعري واحد، فسوف نحاول إبراز أهم السمات والأوصاف التفاضلية المشتركة؛ مثل منح الحب أو مقاومة الأعداء وغيرها التي تتفوق فيها صفات شخصية عن أخرى؛ وأهم السمات التقريبية لمختلف الشخصيات تتمثل في تلك الأنسنة التي يُخضع الشاعر شخصياته لها مثل:منح الحب، رفض الحب، القسوة القوة، مواجهة الأعداء، البخل الصبر، البكاء، ... أو يصف الشاعر الشكل الخارجي لها وخصوصياتها العامة. وفي ما يلي توضيح لبعض هذه الصفات التفاضلية لكل شخصية مدنية:

1-3-الصفات التفاضلية لمدينة قسنطينة:

هي أحد أهم الشخصيات التي أفرد لها الشاعر نصين شعريين الأول بعنوان:(قسنطينة أو بلد الهواء والهوى)، والثاني بعنوان:(تحية قسنطينة)، وبإمكاننا معرفتها من خلال الاسم الذي يعد عنصرا هاما في انسجام النص، وكما يقول هامون فهو يشكل "ضمان الديمومة والحفاظ على الخبر، وعلى مدى تنوع القراءات فنص تتغير فيه إشارات الشخصيات مع كل جملة، لا يمكن أن يشكل نصا مقروءا"،² والاسم كذلك يشكل إحدى السمات المميزة للشخصية، ففي كثير من الأحيان تلخص لنا بعض الأسماء بإيجاز حقيقة الشخصية وتعطينا لمحة عنها فحضور أسماء الشخصيات "غالبا ما يتحول إلى إشارات مبرمجة وفق توجهات اللعبة السردية والاختيارات الجمالية والفنية للكاتب".³

الاسم الذي يناديها الشاعر به؛ هو سرتا؛ الاسم القديم لهذه المدينة التاريخية العريقة (هلا أجب الصب يا سرتا، إلى ما أحب في سرتا أتيت)، ثم هناك مجموعة من الصور الأخرى التي أضيفت إليها لتشكّل مجالا تصويريا واضحا:(أنت طود في السماء معلق، أنت نجم في الفضاء، في الجسور

¹ م ن، ص 61.

² فليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ص 49.

³ م ن، ص 55.

المتغيرات الضميرية والصفات التفاضلية للشخصيات المدن من خلال مقارنة فيليب هامون في شعر أحمد

الطيب معاش.

الحالقات صقورها، في الجنان الخضر حول قوامها، شلالها من كل ثغر دافق والثغر يبسم والمحيا وفي وجهها قد قرأت كلاما، أم رؤوم بها قد فتنت،...).

2-3-الصفات التفاضلية لمدينة عنابة:

بإمكاننا معرفتها من خلال الاسم، سواء من العنوان الرئيس للنص عنابة أو من خلال ما يتكرر فيه:(من قديم عنابتي... فاعذريني عنابتي..)، أو من خلال الصور الأخرى كذلك مثل:(يا ابنة المجد والجمال البديع، عنب أنت أم ترى عناب، عنابتي تشتكيني..).

3-3-الصفات التفاضلية لمدينة بسكرة:

يتجلى اسمها من عنوان النص بسكرة، أو من خلال الإشارة إليها في النص:(أنا في درة لقبوها بسكرة)، أما الصفات التي تميزها كشخصية فالشاعر لم يصفها كثيرا، واكتفى بمجموعة من النعوت العامة مثل (أنا في واحة، أنا في روضة جوها عطر وطيب، وجهها ما أنضره).

4-3-الصفات التفاضلية لمدينة باتنة:

يمكننا معرفتها من خلال الاسم الذي يناديها الشاعر بها سواء في العنوان أو في النص (أباتنة، أباتنتي)، وقد أعطى الشاعر قائمة من الصور والنعوت للمدينة: أنسها به بقدر كبير، فشككت بذلك مجالا تصويريا واضحا مثل:(يا مليحة من فتاة، جمال واعتدال واصطبار، فلو وافك ضيف من بعيد لصار كأهل بيتك والعيال، جدت بالسحر الحلال، صفاء في السريرة والسجايا نافست الترائب في الفعال).

5-3-الصفات التفاضلية لمدينة الأصنام:

إن اسم الأصنام تكرر مرات عديدة؛ سواء من خلال عنوان النص (دموع على الأصنام)، أو ما ذكره الشاعر(غابت الأصنام، صبرا أبنت الشلف، ودعيت بالأصنام، واسمها الأصنام، قد غصت الأصنام، أصنام هذي في المصاب أرثيك يا أصنام)، لكن في مقابل هذا نجد أن الأصنام من المدن التي لم يورد الشاعر لها صورا كثيرة تحاول تقريبها من ذهن المتلقي، وهي صور عامة لا تعطي الكثير من ملامح الشخصية (صبرا أبنت الشلف رغم فجيعة، كأن أهلك للقيامه قاموا، أنت التي حطمت أصنام العدى كانت في الوجود مدينة مثل العروس واسمها الأصنام).

3-6-الصفات التفاضلية لمدينة القدس:

بخلاف الشخصيات الأخرى، لا يذكر الشاعر كثيرا اسم هذه الشخصية؛ ماعدا ما نجده في عنوان النص:(إنها القدس تبكي يا عرب)، أو بعد أن يستعرض أوصافها وصورها فيذكر اسمها مرتين فقط في قوله: (إنها القدس سبها غاصب، إنها القدس عروس عذبت)، وقد أورد الشاعر لهذه الشخصية أوصافا ونعوتها كثيرة قريتها من ذهن المتلقي، وعرفته بها:(صرخات من فتاة تنتحب لطمت خدا وأدمت مقلة أسالت عبرات، تلوت من سقام مضها، تهاوت من عناء وتعب، لفح الحزن محي ذاويا، إن مشت تبدو كظل باهت، فقدت عزا وكانت حرة، فقدت إلفا أهلها بين قتيل راحل...، لا ترى غير ظلام دامس، قد براها السهد من أحزانها، سبها غاصب عروس عذبت).

3-7-الصفات التفاضلية لمدينة دمشق:

يُعد الشاعر اسم شخصيته هذه، ويذكرها مرات كثيرة، سواء في عنوان القصيدة (دمشق الشام)، أو من خلال ما نجده داخل النص:(يا ذرى الشام، طال للشام كم تغنى بدمشق، في الشام ظباء، منحني الشام، إنها الشام، وكفى الشام) والملاحظ أن الشاعر استعمل اسم الشام بدل دمشق؛ وهي كنية معروفة تنادى بها دمشق تحبيبا لها وإعطاء مزيدا من الدلالات حولها؛ وبخاصة إذا علمنا أن هناك كنى معينة تلحق بالأسماء الأصلية للشخصيات؛ تعطينا بعض المعلومات الموجزة عنها، أو كما يقول محمد الباردي "دعوة الشخصية باسم خاص يشكل أبسط عنصر من عناصر التمييز"¹، أما النعوت والأوصاف الخاصة بها فهي قليلة ولا تحيل القارئ على شيء محسوس يخصها ماعدا تلك الأوصاف العامة:(هي للحر ملاذ، هي في الهيجاء غيل، هي في السلم جنان، هي كالعقد الفريد في الشام ظباء منحني الشام وعدا هي في الوحدة أنسي هي في البهجة عيدي، روعة في كل طرف، وجمان في الخدود ويفوح العطر فيها).

3-8-الصفات التفاضلية لمدينة حيفا:

¹ محمد الباردي، في نظرية الرواية، سراس للنشر، تونس، 1996، ص83.

المتغيرات الضميرية والصفات التفاضلية للشخصيات المدن من خلال مقارنة فيليب هامون في شعر أحمد

الطيب معاش.

إن اسم حيفا من الأسماء التي تكررت مرات كثيرة؛ سواء في العنوان (حيفا عروس البحر)، أو في النص: (حيفا براك الحيف، تهنتك يا حيفا، جاء حيفا)، وما عدا هذا لا يمكن أن نعثر على أي وصف تفاضلي خاص بها مثل باقي الشخصيات التي عرضناها، إلا تلك التشبيهات والأوصاف العامة التي لا تحيل ذهن المتلقي على شيء مثل: (طبع العدو على جبينك غدره، سنو¹ حياتك كلهن عجاف، أنت الحسن والأوصاف، لا تغضبي، لا تحقدي، ابق عروسا للبحار من أجل عينك).

9-3-الصفات التفاضلية لمدينة جنيف:

يبدو اسم هذه الشخصية في النص قليلا فبالإضافة للعنوان (أين المصيف يا جنيف) يذكر الشاعر اسم شخصيته هذه مرتين فقط: (أترضين جونيف، هل لك جونيف) أما الأوصاف والنعوت الخاصة بها؛ فهي تحيل القارئ نسبيا للتعرف عليها مثل: (جنيت على العندليب، أسكتت لحن الهزار بخلت أخلفت وعداء، كنت برغم صنوف التجني منى كل صب، فيك برغم حجابك يرنو محيا الملحية، لم تستجبي لصوت الوجيب، فؤادك مثل جليد، رغم الوفاء جفاء رغم العفاف صفات اللعوب، كم مرة تلبسين رداء، كم تعبئين بثوب قشيب عبست لها، هل لك ثأر، وهل لك جونيف قلب أصم).

10-3-الصفات التفاضلية لمدينة ليما:

تمثل الشخصية المجردة من أي وصف تفاضلي يحيل ويدل القارئ عليها، حتى اسمها ذكر مرتين فقط؛ واحدة في العنوان والأخرى في النص، ويمكن أن نذكر بعضها من الأوصاف العامة التي لا يمكن أن تحيل القارئ على شيء بارز من صفات هذه الشخصية: (جمعت الحور حولك والجمالا، ضمت معابرها ضباء، وكم جمعت مجونا وانحلالا).

ويمكن أن نجمع كل ما ذكرناه في جدول توضيحي تقريبي يصنف الشخصيات المدن وأهم صفاتها التفاضلية:

الشخصية	مؤنسنة	موصوفة جسديا	موصوفة طبيعيا	موصوفة نفسيا
قسطنطينة	-	-	+	-

¹ معناها سنون جمع سنة.

عناية	+	+	-	+
بسكرة	-	-	+	-
باتنة	+	+	-	+
الأصنام	-	-	+	+
القدس	+	+	-	+
دمشق	-	-	+	+
حيفا	-	-	-	+
جنيف	+	+	-	+
ليمان	-	-	+	+

ومن خلال هذا الجدول التوضيحي الذي يصنف الشخصيات وأهم صفاتها التفاضلية نلاحظ أن الشاعر عمد إلى أنسنة الكثير من شخصياته المدينية ف" الأنسنة من أروع القيم الجمالية في الأدب؛ لأنها رؤية فنية فائقة لا تخضع للمقاييس المنطقية، ولا تشابه الأحداث الواقعية، يضيف فيها الأديب صفات إنسانية محددة على الأمكنة؛ حين يشكلها تشكيلا إنسانيا، ويجعلها كأى إنسان؛ تتحرك، وتحس، وتعبر، يسم كل شخصية بسمة خاصة لتشدنا إليها وتبحر بنا في عالم من الرؤية والتأويل. وتتعاطف وتقسو؛ حسب الموقف الذي أنسنت من أجله"،¹ وأهم المدن التي أنسنتها الشاعر؛ نجد (عناية، باتنة، القدس، جنيف). و"البعد الإنساني هو الذي يحدد هوية صورة الشخصية ومفعولها الحيوي في العمل الأدبي

¹ مرشد أحمد، أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف، دار الوفاء، الإسكندرية، 2002، ص 07.

المتغيرات الضميرية والصفات التفاضلية للشخصيات المدن من خلال مقارنة فيليب هامون في شعر أحمد

الطيب معاش.

ويكسبها حيوية وخصوبة ثرية"،¹ والشاعر حين أنسن هذه المدن فإنه بذلك "أخضعها لعملية تفاعل حميمية مع الإنسان لتحقيق الدور الإنساني الذي أسند إليها حين طمح إلى تشكيلها تشكيلا إنسانيا ذا ملامح محددة، و تعابير بينة"،² والملاحظ أن الشاعر -تقريبا- حينما أنسن هذه المدن، فإنه عمد إلى اتخاذ صورة المرأة؛ بكل ما تحويه من أبعاد جسدية، ونفسية، فنجده إذا أراد أن يعبر عن جمال مدينة ما فإنه يعبر عن جمال المرأة، وإذا أراد التحدث عن معاناة مدينة ما فإنه يتحدث عنها كأبي فتاة تقاسي وتعاني، أما إذا أراد التحدث عن معاناته هو مع مدينة ما فإنه يتحدث عنها كامرأة لعوب، أما باقي المدن فدرجة الأنسنة فيها قليلة، ومتفاوتة من مدينة إلى أخرى، أما الجانب الشكلي أو المورفولوجي؛ فهو يعد من أهم الجوانب الفنية، والجمالية، التي اعتبرت أساسية لتحديد أبعاد الشخصية وإبراز معالمها. فمنذ "بداية التخيل القصصي، استعمل المظهر الخارجي لتضمين سمات الشخصية"،³ وقد تجلى المظهر الخارجي لبعض الشخصيات، من خلال عملية الوصف سواء على لسان الشاعر، أو على ألسنة الشخصيات في حد ذاتها والملاحظ في هذا أن هناك أربع شخصيات استفادت من وصف مستفيض وهي: (عنابة، باتنة، القدس، جنيف)، وهناك شخصية ذكرت جملة وبدون تفصيل وهي: حيفا؛ حيث لا نعثرها إلا على النزر القليل من الأوصاف. أما باقي الشخصيات فقد عمد الشاعر إلى إبراز الجانب الطبيعي فيها لأنه لم يستطع أن يؤنسها تماما مثل قسنطينة، بسكرة، ليمان.

أما الجانب النفسي في وصف الشاعر لشخصياته فهو لا يقل أهمية عن الجانب الخارجي؛ فالتحليل البنيوي للسرد استبعد "النظر إلى الشخصية كجوهر سيكولوجي واختزلها في وظائف محددة تقوم على وحدة الأفعال التي تُسند إليها في السرد، وليس على جوهرها النفسي"،⁴ وأهمية الجانب الداخلي

¹ جميل حمداوي، "الصورة الروائية"، مجلة أقلام الثقافية الإلكترونية:

<http://www.aklaam.net/aqlam/show.php?id=304>.

² مرشد أحمد، أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف، ص 07.

³ شلوميت ريمون كنعان، التخيل القصصي الشعرية المعاصرة، ترجمة لحسن أحمامة، د ط، دار الثقافة، المغرب، د ت، ص 100.

⁴ محمد عزام، شعرية الخطاب السردية، منشورات اتحدت الكتاب العرب، دمشق، 2005، ص 18.

في تحليل الشخصية برزت بتطور الدراسات النفسية، التي كشفت عن خبايا النفس؛ لأنه من البديهي أن المظهر الخارجي لا يعبر لوحده عن حقيقة الشخصية، لذا فمن الضروري إضاءة الخصائص النفسية المميزة للشخصية والمحددة لموقعها من الأحداث الموضوعية.

4- خاتمة ونتائج:

إن أهم النتائج المتوصل إليها في هذا البحث تفيد بأن كل شخصية مدينة في شعر أحمد الطيب معاش؛ هي وحدات معنى تملك طابعها الدال والمنفرد؛ وقد استطعنا التمييز بين كل شخصية مدينة من مجموع السمات المركبة، والبسيطة؛ التي تضفي على كل منها طابعا خاصا يجعلها تستقل عن الأخرى دلاليا، وأن المتغيرات الضميرية كما رأينا ارتبطت بوظيفة كل مدينة، وهذه المتغيرات الضميرية في كل شخصية مدينة؛ تخضع لمنطق تغير السرد، والوصف، وهي ترتبط بالوظيفة السردية، وقد تميّز تقديم شخصية المدينة في شعر أحمد الطيب معاش باستعمال ضميرين اثنين: هو وأنت، أما الأوصاف التفاضلية لكل شخصية مدينة ووظيفتها في المتن الشعري، فهي تتفاوت من شخصية مدينة إلى أخرى؛ تبعا لأهميتها وتعلق الشاعر بها، وقد رأينا أن أهم السمات التقريبية لمختلف الشخصيات تتمثل في تلك الأنسنة التي يُخضع الشاعر شخصياته لها، كما رأينا أن الشاعر حينما أنسن هذه المدن، فإنه عمد إلى اتخاذ صورة المرأة بكل ما تحويه من أبعاد جسدية، ونفسية، وقد رأينا أنه إذا أراد أن يعبر عن جمال مدينة ما فإنه يعبر عنها بجمال المرأة، وإذا أراد التحدث عن معاناة مدينة ما فإنه يتحدث عنها كأبي فتاة تقاسي وتعاني، أما إذا أراد التحدث عن معاناته هو مع مدينة ما فإنه يتحدث عنها كامرأة لعوب.

مهما ادعينا الإحاطة بهذه الشخصيات، فإنها عالم غير محدود، بل إننا كلما توهمنا إلقاء القبض على إحداها ومحاصرتها، إلا واكتشفنا بعد حين أنها تنفلت تلقائيا من قبضتنا؛ نظرا لبنيتها الشعرية المعقدة، التي منحت لها وجوها متعددة، تستدعي المزيد من التأمل الواعي والتفكير العميق؛ فالشخصيات تكون رمزية حيناً، وموحية بدلالات عميقة حيناً آخر، فكانت بذلك هذه الشخصيات علامات يهتدي بها القارئ في دوال مختلفة؛ فهذه الشخصيات ليست مجرد مدن رسمت عالماً متناقضا ثقافيا، وسياسيا واجتماعيا، بل رسمت أبعادا أوسع من ذلك كما رأينا في تحليلنا لها باستعمال منبرج فيليب هامون؛ لأن المدينة في شعر أحمد الطيب معاش لا تحيلك شخصيتها مباشرة إلى ما يهدف إليه

المتغيرات الضميرية والصفات التفاضلية للشخصيات المدن من خلال مقارنة فيليب هامون في شعر أحمد

الطيب معاش.

رغم واقعية الانطلاق، وبذلك استطاع معاش أن يسم كل شخصية بسمة خاصة لتشدنا إليها وتبحر بنا في عالم من الرؤية والتأويل.

مراجع البحث:

- 1- أحمد مرشد. (2002). *أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف*. الإسكندرية: دار الوفاء.
- 2- الباردي محمد. (1996). *في نظرية الرواية*. تونس: سراس للنشر.
- 3- بلخامسة كريمة. (2000). *تحليل الخطاب الروائي في رواية نجمة لكاتب ياسين (أطروحة ماجستير)*. معهد اللغة العربية وأدائها، جامعة تيزي وزو.
- 4- حمداوي جميل. (March 25, 2007). *الصورة الروائية، مجلة أقلام الثقافية الإلكترونية*. Retrieved February 12, 2008, from <http://www.aklaam.net/aqlam/show.php?id=304>
- 5- زويش نبيلة. (2003). *تحليل الخطاب السردى في ضوء المنهج السيميائي (ط01)*. الجزائر: منشورات الإختلاف.
- 6- عزام محمد. (2005). *شعرية الخطاب السردى*. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.
- 7- كنعان شلوميت ريمون، & ترجمة أحمامة لحسن. (1990). *التخييل القصصي الشعرية المعاصرة (د ط)*. المغرب: دار الثقافة.
- 8- معاش أحمد. الطيب. (1986). *ديوان التراويح وأغاني الخيام (ط1)*. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- 9- هامون فيليب. (1990). *سيميولوجية الشخصيات الروائية (ط1)*. الرباط: دار الكلام.
- 10- Barth, R. (1970). *s/z (1ere publication)*. paris: seuil coll points.